الافتتاحيّة

قورنتس: بولس معلّمٌ وحيدٌ

رئيس التحرير

١ - مقدمة

تتضمن رسالة بولس الثانية إلى القورنثيين لاهوتًا عميقًا، ذات معانٍ خالدة وقيمة ثابتة، وإمكانيّة تطبيق شاملة. فالرسالة تضج بمواضيع تدور حول العلاقات من وجوه عدة، وحول ردات فعلٍ على مسائل متنوعة، كما تتناول عناصرَ هامة من حياة بولس كرسول. نتبيّن هذا الأمر إذا ما تتبّعنا مسارَ علاقة بولس مع كنيسة قورنتس، خاصة من خلال رسالته الثانية إلى تلك الكنيسة.

٢ - من رسالة خاصة إلى عامة

في ٢ قو ١٠:١-٦، مثلاً، يُظهر بولسُ حياتَه في وسط القورنثيين وكأنها إعلان حسّيّ عن تنازل المسيح يسوع وإخلاء ذاته. بمقدوره هكذا أن يؤكّد أن المسيح يتكلم فيه (١٣:٣)، ناقلاً قارئه بالتالي من النظرة إليه على أنه شخصية رسولية كريستولوجية، إلى الكلمة الرسولية التي يدوّنها رسالة. هذه الأخيرة تصبح من ثَمَّ خيرًا عامًّا من جهة، وإرثًا ليتورجيًا من جهة أخرى، كون مكان تلاوة الرسائل هو البيعة حيث تلتئم الجماعة المؤمنة. هذه الرسائل تُتلى في كل الكنائس، باعتبارها تعليمًا يتخطى الأشخاص المعنيين أساسًا، والظروفَ الخاصة التي حُرِّرَت بسببها. تختفي عندها شخصية الرسول، الذي يُخلي المكانَ للتعليم والرسالة والعقيدة، فلا يطلَّ إذّاك إلاّ وجهُ يسوعَ فقط. أجمل ما قاله بولسُ بهذا المعنى هو ما ورد في رسالته الأولى إلى التسالونيكيين: «لذلك نحن أيضًا نشكر الله بغير انقطاع، لأنكم، لمّا سمعتم كلمة الله منا وتلقيتموها، تقبلتموها لا بأنها كلمة بشر، بل بأنها حقًا كلمة إله، وإنها لتفعل فيكم، أيها المؤمنون» (١ تس ١٣:٢). نستنتج من هذا الكلام أن ما كان ظرفيًا قد أصبح من الثوابت، وما كان يُقالُ بالصوت الحيّ، تتلقّاه الكنائسُ كلّها مُدَوَّنًا على أنه كلمة الله الملهَمة، يقرأها أبناؤها، أو يُصغون إليها في احتفالاتهم الليتورجية ولقاءاتهم الروحية.

٣ - ٢ قو رسالة دفاعيّة

نتبيّن في ٢ قو وجود معضلات عدة، من بينها وجود خصوم لبولس، غالباً ما ينتقدهم بطريقة غير مباشرة. هناك ندرة في المعلومات حول هؤلاء الخصوم، وحول هويّة مَن اقترف سوءاً ضدّه. إضافة الى ذلك، لا يمكن لقارئ الرسالة أن يكوّن صورة واضحة عن موقف القورنثيين تجاه بولس ومقاومتهم له.

تبدو الرسالة إذًا أنها بشكل رئيسي «دفاعيّة». ففيها يدافع بولس عن نفسه أمام

مسيحيّي قورنتس وآخائيا، وهذا الأمر غير محصور في دفاعَيه الرئيسيّين، أي في ٢:١٤-٧:٤ (القسم الثاني من الرسالة)، وفي ١٠:١-١٣:١٠ (القسم الخامس منها)؛ فالدفاع عن نفسه موجود أيضاً في ١٢:١-١٣:٢ (أي في القسم الأول من الرسالة)، وفي ٧:٥-١٦ (أي في القسم الثالث منها). هذا الدفاع لا يقود الرسول بالتأكيد إلى إضفاء صفة الشرعيّة على خدمته الرسوليّة. لذا تُبرَز معايير إضافية مختلفة هي التالية: وجود كنيسة قورنتس بالذات (٣:٢)، إنفتاح الرسول (٥:١٢)، إستقامته الأدبيّة (٢:١٧؛ ٤:٢؛ ٦:٤)، وجود علامات الرسول (أي أعمال عجائبيّة،١٢:١٢)، تبشير بولس الحر من أية تبعية (٧:١١-١٢؛ ١٢:١٤-١٨)، قوته في الضعف (١٢:١٠)، تجلي قوة قيامة المسيح فيه (١٣:٣-٤)، الخ.

إن ردود بولس على خصومه، والمركّزة على المسيح يسوع، تنبّه مَن يواصل حمل البشرى على خطى الرسل، إلى ما تعرّض له هؤلاء في عملهم التبشيري، وخاصة القديس بولس، فيتخذ بدوره ما ينبغي من التدابير والمواقف المناسبة، فلا يتعثر نشاطه الرسولي، كما أنّها ترسّخ مَن يتلقّى الإيمان على ثوابت المعتَقَد الذي سمعه وقَبِلَه، فيحيا به.

٤- افتخار بولس

بالرغم من أن الافتخار هو جهل، وبالتأكيد لا نفع منه (١٢:١)، وخَطِرٌ بشكل دائم، فإن بولس نفسه يلجأ إلى الافتخار؛ يُرغَمه على ذلك خصومه والقورنثيون (٢ قو ١١:١٢). مع هذا، فهو يفتخر، وبطريقة عكسيّة ومثيرة في آنٍ، بالأمور التي تُبيّن ضعفه (٣٠:١١)؛ وبالتحديد، عندما يكون ضعيفاً، فعندئذ يكون قويًا (١٠:١٢).

إن هدف بولس في رسالته الثانية إلى أهل قورنتس الدفاعيّة، هو أن يكسب مسيحيّي قورنتس من جديد، فيعيد بناء العلاقة المتبادلة معهم، بلوغًا إلى «المصالحة» التامة. في يوم الرب، يجب أن «يفتخر» القورنثيون ببولس لأنه يرجو أن يكون واحداً منهم: «إناّ فخركم كما أنّكم فخرنا في يوم الرب يسوع» (١٤:١). حالياً العديد منهم هم تحت تأثير الدخلاء. هم لا يفهمون بولس، فيدّعون أنه غيّر خطط سفره، مما جعله يقول لهم: «مراعاة لشعوركم، ما عدت قدمت إلى قورنتس» (٢٣:١)؛ ويضيف، وبكلام فيه شيء من القساوة: «فمن ضيق شديد وكرب قلب، كتبت إليكم بدموع غزيرة»(٤:٢)؛ هو يرفض دعمهم المالي. يبدو أن القورنثيين يشبّهون بولس بمناوئيه، فيردّ قائلاً: «وأرى أني لم أنقص شيئاً عن أكابر الرسل» (٥:١١). وفي مسألة المهارة البلاغيّة: يقول مدافعًا عن نفسه: «فإن كنت أميّاً بالكلمة، فلست كذلك في المعرفة» (٦:١١)؛ يحقّرونه مُدّعينَ أن لا قيمة لكلامه، وأن حضوره بالجسد تنقصه الجرأة (١٠:١-٢ و١٠). لكنّ بولس يلتمس منهم ويتكلّم إليهم كما إلى أولاده، مؤكّدًا لهم أنهم ليسوا مقيّدين به؛ وأن لديه ثقة عظيمة وفخراً بهم (١١:٦-١٣؛ ٢:٧-٤).

إن الخبر السار الذي نقله تيطس إلى بولس عند عودته من قورنتس، (أخبار حول حزنهم وغيرتهم تجاه الرسول) ملأت قلبَ هذا الأخير فرحاً وتعزية (٦:٧-١٣). يحب بولس القورنثيين؛ يعلم الله أنّه يحبّهم: «ألأنّي لا أحبّكم ؟ يعلم الله !» (١١:١١). بالتأكيد، إنّ علاقة متجدّدة مع بولس تعني أيضاً السلام في الجماعة: «وبعد، أيّها الإخوة، فافرحوا وتكمّلوا، وتشجّعوا، وكونوا على رأي واحد، وعيشوا في سلام، وإله المحبّة والسلام يكون معكم» (١١:١٣)، وفوق كلّ شيء المصالحة مع الله: «نناشدكم بالمسيح : تصالحوا مع الله» (٢٠:٥).

٥- خدمة بولس الرسولية

بولس هو رسول المسيح بمشيئة الله (١:١)، وفي هذا هو فريد في دعوته. فبطريقة خاصّة جداً، هو يحمل في جسده موت يسوع، وحياة يسوع تتجلّى بجسده المائت (١٠:٤-١١). لقد أُقِيم خادماً ما بين

المسيح والشعب؛ إنّه سفير الله (٥:١٨-٢٠). سيكون من الخطأ الفصل الجذري بين اتحاد بولس مع المسيح، وبين قادة الكنيسة الآخرين، أي الخدّام السابقين والحاضرين، أو المُرسلين أو الرعاة. أكثر من ذلك، على كل المسيحيّين أن يعتبروه قائدهم المخوّل لذلك، ونموذج روحانيّة أصيلة، لأنه بكلّ صدق هو يذهب بعيداً ليدعو الكل: «اقتدوا بي، كما أنا بالمسيح» (١قو ١١:١). كل المسيحيّين، وبوجوه مسفرة، يعكسون، كما في مرآة، مجدَ سيّدهم، وقد تحوّلوا، بالروح القدس، إلى صورة المسيح، من مجد إلى مجد (٢قور ٣:١٨).

في ٢ قو إذًا، يفكّر بولس، فوق كل شيء، بمهمته الرسوليّة. ففي ٥:١٨-٢٠، يشدّد على أن الله قد وهبه خدمة المصالحة وائتمنه عليها. لقد بشّر كخادم ليسوع المسيح الربّ: «فلسنا ننادي بأنفسنا، بل بيسوع المسيح رباً، وبأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع» (٤:٥). كعطر طيّب نشر معرفة مجد الله الذي هو على محيّا المسيح: «فشكراً لله... الناشر طيب معرفته بنا في كل مكان، لأنّا أريج من المسيح لله في المخلّصين وفي الهالكين» (٢:١٤-١٥؛ ٤:٦)؛ هو يبشّر بالإنجيل من دون ثمن؛ باستطاعته أن يوصي بنفسه في كل حال (٤:٢؛ ٦:٤)؛ مع هذا، فهي خدمة محفوظة في آنية من خزف (٤:٧). تتميّز هذه الخدمة بآلام ومحَن لا عدّ لها (٤:٨-٩؛ ٦:٤-١٠؛ ١١:٢٣-٢٧)، بالصدق في نظر الله، وبالانفتاح على ضمير كلّ أحد (٤:٢)، كما أيضاً بالمسلك الأدبي المثالي (٨:٢١)، بالإضافة إلى الاعتناء المتواصل بالكنائس (١١:٢٨)، الأمر الذي يشدّد بولس عليه، حاثّاً القورنثيّون على التبرّع من أجل فقراء أورشليم (ف ٨-٩).

٦- كريستولوجية ٢ قو

في ١:٢٠، يوضح بولس، وبشكل طارئ، أنّه في المسيح أصبحت كل وعود الله واقعًا: «فجميع وعود الله كانت فيه نعم». في ٥:١٨-١٩، أكّد أنّه بالمسيح صالح الله العالم مع نفسه؛ وفي ٥:٢١، أوضح أنّ المسيح، الذي ما عرف خطيئة، قد جعله الله «خاطئاً»، كي نستطيع كلّنا أن نصبح به أبراراً (٥:٢١). إنّ الرب يسوع المسيح، مع كونه غنياً، أصبح من أجلنا فقيراً، حتى، بفقره، نتمكن من أن نصبح أغنياء (٨:٩). إن الكريستولوجيّة في ذهن بولس هي بارزة للعيان في كتاباته، وينبغي أن تُعالَجَ في موضوع مستقل كي تتمّ الإحاطة بكل أبعادها ومن كل جوانبها.

٧- البعد الخلقي

يشدد بولس في ٢ قو على نسيان الإساءة، فيطلب من القورنثيين أن يسامحوا المسيء المتأسّف على فعلته ويعزّوه (٢:٥-١١). ويحثّ هؤلاء على أن ينقّوا ذواتهم من كلّ نجاسة لأنهم هيكل الله (٦:١٤-١:٧)، ويلحّ عليهم أن يختبروا أنفسهم (١٣:٥). هو يحرّر هذه الرسالة الشديدة بينما هو بعيد عنهم، حتى عندما زيارته الثالثة لا يكون عليه أن يكون قاسياً في استعماله لسلطته، لأن الرب قد أعطاه السلطة الرسوليّة للبنيان لا للهدم (١٠:٨؛ ١٣:١٠). إنّ بولس نفسه، قد جعل هدفه الأول إرضاء الرب؛ هو يعلم أنه سيقف هو أيضاً أمام كرسي قضاء المسيح (٥:٩-١٠)، لذا يرجو أن يرفعه الله ويحمله والقورنثيين إلى حضرة الرب يسوع (٤:١٤).

٨- خاتمة

مما تقدم نستنتج أن رسالة بولس الثانية إلى القورنثيين تلعب دورًا لاهوتيًا وعملانيًا في حياة الكنيسة وأبنائها، وتبطل أن تبقى مرتبطة بظرف ومكان معيّنين، لتصبح شمولية وعامة، تحيي الإيمان في قلب مَن يقبلها ، وتحيا هي به.

ملاحظة: لقد تركنا استعمال اسم الرسالة كما شاء المحرّرون، أي «قورنتس» أو «كورنتس» أو «قورنتوس» أو «كورنتوس»، آملين أن يصار إلى التوحيد.